فليبيأس خصوم الوفد

أعتقد أنَّ الناس يوافقوننى على أنَّ الصحف والمجلات المعادية للوفد قد أسرفت فى موقفها إسرافًا ملحوظًا، فهى تنشر وتنشر كل يوم روايات وتذكر وقائع تصوغها فى أساليبها الخاصة مع مهارة آثمة فى الإخراج لرغبةٍ ملحةٍ فى التشهير.

وتلك الروايات والوقائع التى تنسب لبعض الوفديين لما يجر بشأنها تحقيق ولما يسمع فيها دفاع ولما تصدر بشأنها أحكام، فهى على أكثر مجرد اتهامات يلقيها خصوم احترفوا الخصومة للوفد احترافًا واتخذوها مهنة لهم منذ سنوات وسنوات، وإلى أن يثبت شىء ضد أى كان يظل الأمر مجرد تشهير.

وفى كل بلد قوانينها ومحاكمها، وفى كل بلد صحافتها ومصلحوها، ولكن بلدًا واحدًا لم يسلك السبيل الذى سلكناه فى مصر، شهورًا وأعوامًا ونحن نفضح أنفسنا ونشيع عن بلادنا أنها موبوءة، وأنَّ الفساد قد فشا فى كل مرافقها وأنَّ كبار رجالها عصابة من قطاع الطرق، وقناصة المنافع، حتى لقد جرأنا الصحافة العالمية فشهرت بنا ونالت من سمعتنا كأمة واستغل خصومنا المستعمرون هذا الذى انحدرنا إليه واتخذوا منه سلاحًا يشهرونه فى وجوهنا للتدليل على أننا أمة لا تستحق لا الاستقلال ولا الحياة ولا أى نعمة من نعم الوجود.

نتيجة كان يجب أن يقدرها خصوم الوفد الذين دأبوا يحاربونه سنوات طويلة داخل الحكم وخارج الحكم.

فهو إذا كان فى الحكم وأصلح من شئون البلاد ما أصلح حتى أتى من ضروب الإصلاح بما لم يسبقه إليه أحد ولن يدرك مثله من بعده أحد، طغت على ذلك حملة

غاشمة ظالمة من التشهير والتشنيع والإلحاح فى الأذى والإساءة.

ولو أنَّ خصوم الوفد كانوا منصفين حقًا لـذكروا لحكومـة الوفـد حسـناتها إلى جانب ما يدعون من سيئات ينسبونها لبعض الوفديين وزراء أو غير وزراء، ولكـن اللدد فى الخصومة والغرض والهوى، والرغبة الملحة فى إخمـاد الوفـد أو القضـاء عليه هى الهدف وهى الغاية.

سلخت حكومة الوفد الأخيرة فى الحكم عـامين فأتـت بـالمعجزات فى شـئون البلاد جميعها، سواء أكانت تلـك الشـئون متصـلة بـالتعليم ومشـكلته أو بالصـحة العامة وصياغتها أم بالعمال ونظمهم أم بالفقراء وطريقة عونهم.. إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال لسرده، فكم كان عدد المدارس وعدد الطلبة مثلًا قبل تولى وزارة الوفد الحكم وكيف كانت الحال عند إعفائها منه، وكـم كـان عـدد المستشـفيات والمجموعات من قبل ومن بعد، والضمان الاجتماعى وقوانين العمال وأثرهـا فى حياة البلاد الاجتماعية.

ولست أريد أن أتحدث عن المحادثات وما انتهت إليه من إلغاء المعاهدة ومـا كان من تقرير مبدأ عدم التعاون مع الإنجليز والسرعة العجيبة المذهلة فى تشـغيل العمال الذين هجروا المعسكرات الإنجليزية، لا أريد أن أتحدث عن هـذا فـأمره ظاهر.

ولكن هذا كلـه لا يسـاوى شـيئًا فى نظـر خصـوم الوفـد لأنهـم قـوم متمنتـون وحاقدون.

من الذى يقول إنه لو ثبـت عـلى أننـى ارتكبـت أمـرًا إدا فى غفلـة مـن إخـوانى وزملائى الوفديين أنَّ هذا يمس كيان الهيئة التى أنتمى إليهـا، مـن الـذى يقـول إنَّ وزرى يتعدى إلى غيرى، من الذى يسمح لـه ضـميره أن يحمـل والـدًا تبعـة جـرم يرتكبه ابنه أو أخا تبعة جرم يرتكبه أخوه أو صديقا تبعة جرم يرتكبه صـديقه. وإذا كان هذا هو الشأن فى شئون حياة الناس الخاصة فما بال خصوم الوفد يحاولون أن يلصقوا بالوفد كهيئة تبعة ما يفترون على بعض الوفديين.

لقد يقتضينى الإنصاف أن أقرر إننى وأنا أخاصم كوفدى قديم أحزاب القلة، لأننى مؤمن من قديم بأنها علة العلل فى تعويق جهاد البلاد وتشجيع المستعمرين على الصلابة والعناد.

يقتضينى الإنصاف أن أقرر إننى لا أفكر ولم أفكر يومًا فى أن أتهم هذه الأحزاب بذنب أوخذ من أجله أحد أفرادها، وقد حصل فعلًا أن وزيرًا سابقًا من حزب بعينه سجل عنه مجلس الشيوخ مؤاخذة فى شأن يمس النزاهة فى يوم من الأيام، لكن أحدًا لم يقل إنَّ حزبه منغمس معه فى هذا الفساد.

ولقد أذكر أنَّ الدستوريين والسعديين كانوا حلفاء فى الحكم فى وقت ما، وكانت هناك مآخذ كثيرة على ذلك الحكم، ووقائع محددة، ولكن سعادة رئيس الأحرار الدستوريين لم يتردد فى أن يبرئ حزبه كحزب من كل تبعة على الرغم من أن وزراء من حزبه كانوا مع السعديين فى الحكم وكان حزبه يؤيد الوزارة الحاكمة، لكن سعادته أبى أن يحمل التبعة وقال لا تزر وازرة وزر أخرى.

ونحن ولانزال أمام أقوال تلقى جزافًا وتصور الوقائع يومًا بصورة ويومًا بصورة أخرى وهى كما قلت لم تحقق بعد ولم يثبت على أحد شىء ومع هذا يتخذ خصوم الوفد من دعاياتهم السيئة وسائلهم لمحاولة هدم الوفد.

ولقد أود أن أؤكد لخصوم الوفد أنهم واهمون إذا ظنوا أن تصرفًا فرديًا لو صح ثبوته على أى وفدى بمؤثر على سمعة الوفد أو على كيان الوفد أنهم واهمون الوهم كله، وإن هى إلا أحلام، إنهم لا يدركون، أو هم يدركون ويتجاهلون، أنَّ تملق الأمة بالوفد عميق، وأنه لم يأت جزافًا ولا وقع طفرة، بل إنه تولد عن إيمان ويقين وبعد تجارب كثيرة فى سنوات طوال.

وغدًا يرون، وغدًا يتحولون إلى الطعن على الأمة نفسها إذا يئسوا من التفريق بينها وبين الوفد.